التنقيبات الايطالية في تل بري - كحت

بقلم : باولو بيكو ريلا
تعريب وتلخيص : قاسم طوير

يقع تل برى على الضفة الغربية من نهر الجغجع الذي يرفد نهر الخابور بمحافظة الحسكة . وهو يحتل مكانا استراتيجيا هاما اذ انه عقدة وصل بين بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين وبلاد الاناضول .

يبلغ ارتفاع التل ٣٢م وشكله بيضوي ويحتل جزؤه الرئيسي (الاكروبول) مساحة ٧ هكتارات اما الاجزاء المنخفضة التي تأخذ تضاريسها شكل هلال فانها تشغل مساحة ٢٧ هكتارا وبذلك يكون مجموع المساحة ٣٤ هكتارا .

كان المروحم الاستاذ جورج دوسان اول من اكتشف الهوية التاريخية لهذا التل استنادا الى النقش الحجري المكتشف بطريق المصادفة والمحفوظ في متحف حلب . ان مدينة كحت القديمة غائبة في ثنايا تل بري . ويرى زميلي الاستاذ سالفيني في مدينة كحت هذه مركزا دينيا هاما لمملكة الميتانيين .

بناء على التنقيبات التي تمت خلال اربعة مواسم بين ١٩٨٠ و ١٩٨٣ ، في قمة التل الرئيسي وفي المنطقة المنخفضة المحيطة بالتل نستطيع القول ان العمران في هذا الموقع بدأ في اواخر عصر اوروك او خلال فترة جمدة نصر كما ظهرت كسر فخارية ملونة تشير الى فترة تل حلف . بيد انه لم تظهر معالم معمارية تشهد على اواخر عصر اوروك لكن عثرنا على كمية كبيرة من حطام اواني ذلك العصر فضلا عن ختمين اسطوانيين .

وفي المنحدر الغربي للتل الرئيسي ظهرت معالم معمارية لبيوت سكنية وذلك على عمق ١٣م ويعود تاريخها الى المرحلتين الثانية والثالثة من عصر السلالات الاولى في جنوبي الرافدين . كان مقطع الحفرية في هذه البقعة مؤلفا من عدد من الطبقات الاثرية واحدثها يضم في ثناياه حطام اواني فخارية تنسب الى الطبقة الخامسة في حفريات نينوى . اما الطبقة التالية فكانت تضم حطاما فخاريا لاوان مختلفة ومماثلة لمكتشفات تل براك وتل خويرة . وفي الواقع لم تكشف تنقيباتها حتى الان عن شواهد مادية على أواخر الالف الثالث قبل الميلاد .

اظهرت التنقيبات في المنطقة (ج) من التل معالم معمارية تعود الى النصف الثاني للالف الثاني قبل الميلاد وقد عثرنا مع هذه المعالم على حطام اواني فخارية من النوع المكتشف في موقع نوزي (النوع الميتاني) في العراق ، يضاف الى ذلك الكميات الكبيرة من حطام الاواني الملونة من النوع المعروف باسم « فخار الخابور » . وقد كان واضحا اننا كنا نكشف عن جزء من المدينة المنتشرة في السهل المحيط بالتل المركزي وان هذا الجزء يمتد على منحدرات التل المركزي نفسه . وكانت المدينة مطوقة بسور من جهاتها الثلاثة ، اما الجهة الرابعة فتطل على ضفاف نهر الجغجع .

تبدى اثار الالف الاول قبل الميلاد في عدد من القطع الحجرية البيضاء والسوداء التي التقطها اهالي القرية المجاورة من قمة التل بينما

كانوا يحفرون القبور لموتاهم ثم استعملوها شواهد للقبور ، ومن بين تلك القطع الحجرية كانت اللوحة التي تحمل نقوشا مسمارية باسم الملك الاشوري توكولتي – نينورتا الثاني وهي محفوظة الآن في متحف حلب . وكانت القطعة الثانية تزهو بنحت بارز لشكل زهرة .

ومن المحتمل جدا ان لحق الدمار الكامل بالقصر الملكي الذي يعود الى الفترة الآشورية الحديثة وان حجارته قد استعملت في مباني الفترة اللاحقة . لذلك لا نملك ادلة اكثر من ذلك على الفترة الآشورية الحديثة ونأمل أن تكشف تنقيباتنا في المستقبل عن مزيد من الادلة لاسيما وان النصوص المسمارية التي خلفها الملك شمش حدد الخامس وصارغون الثاني تذكر بأن كحت (تل بري) كانت محطة هامة على الطريق الملكية التي تربط بلاد آشور مع منطقة الخابور .

كانت تل بري عامرة في القرون الاولى بعد الميلاد وقد تبين من خلال التنقيبات في الرقعة

من التل ان الموقع كان من الثغور الرومانية المنتشرة بين نصبين (القامشلي) وقرقيسيا (البصيرة عند مصب الخابور في الفرات) ، وتتجلى آثار هذه الفترة في حطام الاواني الفخارية المدهونة بالاحمر والمختومة (تيرا سيجلاتا) والاواني الخزفية البارثية . تشهد عدد من القطع النقدية الرومانية (مع غياب كامل للنقود البارثية) على سك محلي للنقود . كذلك عثرنا على (بكلة) حزام من البرونز مزينة بنحت يمثل هرقل والاسد ومنفذباسلوب بارثي بحت «فضلا عن تميمة من حجر الستياتيت والخرز» وتدل هذه الآثار على وجود ازدهار اقتصادي في ذلك الوقت .

ماتزال الفترة الساسانية غيرواضحة فحطام الاواني المزخرفة بطريقة الختم تشهد على وجود ساساني في المكان لكن يبدو ان شواهد الفترة الاسلامية ازالت معالم الفترة الساسانية السابقة لها . لكن من المحتمل ان يعود الى الفترة الساسانية ذلك الجدار الهام الذي يطوق ثلثي التل .

كانت الفترة الاسلامية آخر مرحلة في حياة تل بري فآثارها تنتشر في قمة التل المركزي . وقد كشفت التنقيبات عن سويتين اثريتين من العهدين الايوبي والمملوكي (القرن الثاني عشر حتى القرن الرابع عشر) وتتمثل الآثار في معالم معمارية وبقايا افران لصنع الخزف والفخار وحطام اواني خزفية كثير منها من نوع خزف الرقة .

< ✿ >